استثمار مهارة القراءة في تحرير مقال علمي في الدرس البلاغي

الطالب :محمد عبد الفتاح مقدود
إشراف :أ.د: العربي عميش
جامعة الشلف /الجزائر

ملخص البحث باللغة العربية:
يغتدي الطالب الباحث اليوم أسير الأقوال والإشكالات العلمية، فنلفيه متخبطا في بناء جواب يكفيه عناء الاستبصار والإمعان في النصوص، وهذا لما يعانيه من نقص في منهجية تحرير مقال ممنهج يبرز من خلاله إبداعه ويعطي معه رأيه وقراءته العلمية النقدية
ويرجع حسب رأيي هذا الخلل التقني في المجال العلمي إلى عامل رئيس، هو افتقاد الباحث أو الناقد لآليات القراءة العلمية السليمة المبنية على الإمعان والمُوصِلة إلى نتائج وقراءات سليمة
وعليه ارتأيت أن اشتغل في بحثي هذا على إظهار وكيفية استثمار مهارة القراءة في تحرير مقال علمي في الدرس البلاغي.
الكلمات المفتاحية:
منهجية البحث العلمي، القراءة، المقال العلمي، البلاغة، الدرس النقدي.

English stady summary:

Tells, words and scientific dilemmas are seeked currently by the student, so he's s confusing of building a sufficient answers of concentration in the text, that's because of suffers from a lack of methodical editing of a systematic article which shines his creativity and strongs his thinks, his opinions and his critical scientific readings.

In my mind, this technical imbalance in the scientific filed is a basic factor, the lack of mechanisms of scientific studies which based on the safety of the depth results.

So I thought the reading investing skills ways in the edition of a scientific article in the rhetorical lesson.

Key words:
Scientific research methodology, Reading, Scientific article, Rhetoric, critical lesson

تمهيد:
تنوعت المصادر المعرفية عبر القرون الغابرة ومذ عرفت البشرية التأليف إلى يومنا هذا، وأصبح لزاما في زماننا تحيين المعارف والنظريات بغية غربلة ذاك الزخم المعرفي الكبير، من أجل نيل معرفة شافية للإبهامات التي يتخبط فيها البحث العلمي اليوم

ولعلّ من المعارف والعلوم التي ظلت أسيرة التنظير والتقعيد والبحث والتحيين "علم البلاغة"، الذي أضحى بين تجاذب التيارات والنظريات هشيما تذروه رياح البحث والتمحيص مرة تلو أخرى.

فغدا الناقد البلاغي[1]؛ مشتت التفكير بين مد وجزر المناهج النقدية المعاصرة، والتي ما أتت على نص إلا وتعرضت له وفق أسس تحليلية جديدة، وحسب رأيي فإن سبب هذا التيه العلمي للناقد البلاغي راجع إلى أسباب شتى أبرزها: قلة الاطلاع العميق والانزواء على توجه دون آخر؛ مما أورد هذا الأخير عجزا في بناء معرفة سليمة يستصيغها في الإجابة على تساؤلاته أو إشكالياته بتقديم مؤلفات أو مقالات علمية ممنهجة.

وعلى هذا الأساس أشتغل في بحثي على مكاشفة طرق وآليات استثمارية للقراءة من أجل تحرير مقال علمي في الدرس البلاغي.

1/ماهية القراءة ودورها:

حينما نتحدث عن القراءة، فليست هناك في الحقيقة قراءة واحدة أو نظرية قرائية واحدة، بل هناك نظريات وقراءات متعددة ومتنوعة ومختلفة، وهذه القراءات يمارسها ناقد ما أو فيلسوف أو مفكر، لأجل الوقوف على حقائق علمية "اختلف النّاس في تعريفها على مر العصور"[2]، لما فيها من اختلاف الوجهات وتعدد الغايات، ويجمع الدارسون على أن العلم هو "المقدرة على التنبئ أو الفهم أو أنه مجموعة المعارف الإنسانية التي من شأنها أن تساعد على زيادة رفاهية الإنسان أو أن تساعده في معركة كشف الحقائق وتركيب النتائج"[3]، ويمكننا القول كذلك أن العلم هو حقيقة اجتماعية له تاريخه ونتائجه وفرضياته وطرقه في البحث[4].

يتبين لنا مما سبق أن القراءة السليمة لابد لها من منهجية البحث العلمي المتناولة لأسلوب أو طريقة يتقصّاها الباحث بغية تحقيق مآربه العلمية في أيّ العلوم كانت[5].

وبالتالي، فهي تدخل في خانة القراءة، بيد أن النظرية الحقيقية التي اهتمت بالمتلقي للمادة العلمية الخام باعتباره طرفا أساسيا في العملية البلاغية والإبداعية، هي سيميائية رولان بارت وأمبرطو إيكو، وجمالية التلقي والاستقبال كما عند آيزر، وياوس، وستانلي فيش[6].

والقراءة باعتبارها مفتاح الولوج إلى عالم المعرفة؛ تظل تحتمل أكثر من تخريج، خاصة إذا ما كانت فردانية يبتغي بها فاعلها الوقوف على آراء ونظريات تتوافق وإجابته على إشكاليات معينة.

ولا شكّ أن "الحاجة إلى تحديد كنه القراءة في كونها نشاطا عرفانيا وسلوكا ثقافيا يميز بينها وبين ضروب القراءة السطحية البسيطة ومعرفة شروطها وتحديد منافعها ودورها في بناء الملكة العلمية هو من أوكد الحاجيات التي ستمثل مشاغل فرعية ومقاصد فعلية"[7].

ومن هذا يمكن القول أن القراءة نشاط مفعولي في الذهن يجعل من الفاعل منتجا مضيفا مبدعا، وهذا لا يتأتى إلا بالمطالعة المتكررة المستمرة، "ذلك أنها (المطالعة) ظاهرة إنسانية متصلة بمراحل عديدة من مراحل التطور الحضاري لهذا الكائن القارئ المفكر والكاتب المُعبِّر"[8].

ومعنى القائل يحصرنا في إلزامية المطالعة التي قصد من خلال التعبير عن -القراءة- وجعلها الفيصل بين الفكر الحضاري وغيره.

وحتى تكون القراءة نافعة وظيفية وجب أن يدفعها عامل الحاجة "فهما لصيقان -القراءة والحاجة- ببعضهما اِلتساق السبب بالنتيجة، ولا معنى لأحدهما دون الآخر، فاقتران القراءة بالحاجة هو من قبيل الاقتران العقلي بين عديد الأزواج في الكون، كما حال العطش بالارتواء، والداء بالدواء"[9]، وكلما كانت القراءة بالحاجة كانت معها إصابة الهدف واستكشاف المخبوء، وعموما تحصل الفائدة.

فدافع الناقد البلاغي وحاجته إلى تحري اللمسات الإبداعية والبنيات الجمالية في أي نص كفيل بضمان القراءة الماتعة، ولا تكون القراءة كذلك ما لم تتكرر وتتغير في زمانها؛ فما قُرئ في أسبوع سريعا يعاد في شهر بتأنٍ، وهكذا إلى غاية أن يصل الباحث البلاغي إلى ركائز ودعائم علمية تؤهله إلى الكلام وفق قيمة درجته لا حسب حاجة محيطه.

وتُعرّف القراءة "على أنها فعل عقلي تحَدّدُ أهدافه سلفا"[10]، وهذا ما يزيد رأينا السابق حول الحاجة وثوقا ومتانة؛ فالحاجة تتولد لتحدد أهدافا تصلها بعد القراءة.

فالقراءة السليمة عملية متعدّدة الأبعاد تتوافق فيها حركة النظر مع طريقة التركيز والتمييز التي يؤدّيها العقل والتي تمر بمرحلة الإدراك أو ما يعرف بالوعي ثم التحصيل ويعرف بالاستيعاب، ثم تأتي الاستجابة الموصلة للتطبيق أو ما يعرف بالتمثيل، وهاته المراحل أساس النشاط القرائي لدى الباحث وبها يتم إشباع حاجة الحاجة كما يقول الفيلسوف هيقل.

2/أنواع القراءة:

أصبحت القراءة اليوم تتشاكل ومختلف العمليات العقلية والنفسية؛ فبعد أن تعددت الجوانب النفسية وصار لكل منها دافع وحافز، جاء الدور على القراءة لتأخذ منعرجات وطرقا تختلف بها من حال لآخر ومن وضع لغيره.

والباحث البلاغيُّ اليوم إذا ما اتكأ على موضوع بلاغيّ ليخرجه في قالب علمي ممنهج يكون ملزما حينها باستثمار ملكته البلاغية في المجال، لأن "كل بحث علميّ توجهه فكرة أو سؤال أو معضلة يريد الباحث إما استكشافها أو التقصي عنها"[11].

وحتى تتبلور لديه قاعدة علمية يجب أن يتدرج بقراءته وفق أنواع القراءة؛ فينطلق بقراءة سريعة في موضوع بحثه "بغرض أخذ نظرة كلية خاطفة للموضوع، عن طريق تصفح فهرس المواضيع وقوائم المراجع والمصادر والعناوين والمقدمة والخاتمة وبها يطّلع الباحث على الوثائق ويحدد ذات القيمة العلمية التي -لذلك- يجدر الاطلاع عليها[12].

ومن خلال وجهتنا ورؤيتنا الناشئة وهذا الذي سبق يمكننا الإقرار بأن القراءة السريعة (الأولية) يجب أن تكون لامحة ومهنِدِسة ومحددة لدرجات ودعائم البحث ليس إلا، لذلك كانت ضرورية للباحث المتخصص والأكاديمي.

ولا تكتمل القراءة السريعة إلا إذا أتبعناها بقراءة عادية هادئة متروية تتيح للقارئ أخذ النص بمعزل عن الذاتية ويتفحصه وفق الضوابط الأكاديمية العلمية؛ وتُعرف هذه القراءة بـ "القراءة الكاشفة"[13]، أي من خلالها يكاشف الباحث أو القارئ خبايا وقضايا الكتاب أو المادة العلمية المتوفرة.

ويَتقصّدُ الباحث هذا النوع من القراءة من أجل "استخراج الأفكار والحقائق والمعلومات وتدوينها في البطاقات أو الملفات أو الحاسوب الآلي للاستفادة منها في عملية الاقتباس، حسب الأصول المراعية للاقتباس في البحث العلمي"[14].

ثم نأتي بعد هذا إلى المرحلة الهامّة من القراءة؛ والتي يُصطلح عليها بـ "القراءة المعمقة والمركزة"[15]، أي يكون الباحث من خلالها مركزا على "الوثائق أو المعلومات ذات القيمة الممتازة، والوثيقة ذات الصّلة بموضوع البحث، والتفكير في توظيفها من خلال جوابه على الإشكالية"[16].

وفي هذا تبيان على أهمية حصد المعارف التي كاشفها الباحث سريعا ثم زادها جلاء بالتركيز والتحليل والتوظيف السليم مع مقتضى بناء المقال العلمي.

ولابد لكل قراءة أن تتآكل مراحلها بالتفكير والتأمل في المادة المقروءة وكيفية الاستفادة منها لصالح البحث وبناء الفرضيات وضبط منهجية الكتابة أو الإجابة[17].

3/كيفية استثمار القراءة في التحرير العلمي المنهجي:

إذا كان البحث يعرف صيغا مختلفة فإنّ عليها جميعا أن تحترم المعايير الدُّنيا للصّرامة (الوضوح المنطقي الدّاخلي والتوافق بين النظريات والمعطيات)[18].

ولاستثمار القراءة في الكتابة العلمية يتوجب على الباحث "استخدام منهج علمي يتفق وطبيعة البحث في موضوع معين أو عدّة موضوعات منتظمة في سياق ما بهدف الوصول إلى معرفة علمية جديدة يستفيد منها الباحث لخدمة أغراضه وطموحاته[19]، فمثلا يلتزم الباحث في كلامه البلاغي بالمنهج التاريخي من خلال التأريخ للوقيعة التي استنطقت حدثا بلاغيا، حتّى إذا ما خلد إلى التأصيل للمفردة أو المصطلح فإنه يعمد إلى المنهج الإحصائي في ضبطه لمصادر المفردة عبر سلاسل المعاجم وغير هذا كثير.

ويمكنا القول هنا بأن هذه الخاصية البحثية العلمية هي من لب خصائص التفكير العلمي في شتى العلوم على أساس تقدم المعرفة العلمية[20].

ويعتبر الاستثمار الفعلي خطوة فاعلة فعّالة في البحث كونها ترفعه بين جماجم العقول للتدبر والشفاء المعرفي، أو تنزل به إلى الملل والضجر الذوقي، ومن سمات ذاك الاستثمار وآلياته؛ أن يكون على النحو الآتي:

1. المنهج العلمي ويُراد به طريقة تصور وتخطيط العمل حول موضوع دراسة ما، ونعني بالمنهج العلمي الدليل المناسب الذي يؤيد قبول الفكرة[21]؛ وهذا لازم لكل باحث في بحثه حتى يرتقي بحثه ويخلو من الحشو والزيادات القاتلة للأفكار.

ويرى البعض أن "المنهج العلمي مجموعة المبادئ أو الخطوات المنظمة التي نتبعها من أجل الوصول إلى النتيجة العلمية أو البرهنة عليها، فبواسطة المناهج نتمكن من اكتشاف مختلف المعارف العلمية؛ أي أن كل العلوم قد تم اكتسابها استنادا إلى مناهج علمية محدّدة لا نشك في صحّتها[22].

وقد عرف باحثون آخرين المنهج العلمي بـأنه مسعى في كل ميادين العلم، يكون بطريقة جماعية لاكتساب المعارف القائمة على الاستدلال وعلى إجراءات معترف بها للتحقق في الواقع[23]

ومن خلال هذا الطرح يمكننا القول بأساسية المنهج العلمي في البحث الأكاديمي، وينزعان لبعضهما تماما؛ كنزوع الأرض إلى المطر والأذن للخير والمرأة للذكر.

2. التواضع عندما يدنو الدارس من هذا السيد العظيم ألا وهو العلم[24]، وهذا بترك الاستعلاء المعرفي أو الجزم اليقيني أو الفصل النهائي في القضايا العلمية، خاصة إذا ما تعلق الأمر بالجوانب الفكرية التي تتسع باتساع التفكير وتعلو بعمق التحليل.
3. الاشتغال على ما يعرف بالتحيين أو التصويب أو الإثراء كون الباحث لا يمثل سوى حلقة صغيرة من سلسلة حلقات الباحثين في المجال الذي تعرض له[25]
4. الدقّة والتعمّق في فهم المادة المخزنة واليقظة في تسجيلها[26]؛ ومعناها أن يكون الباحث دقيقا في اختيار مواضيع البحث ودقيقا في الإجابة عنها، من خلال حسن الإسقاط ودقة التمثيل وجودة التعبير وسلاسة الأسلوب.
5. التمييز بين العلّة الكافية وبين العلّة الضرورية[27]، أي وجوب تفريق الباحث بين ما يعتبر جوهر الإشكالية وما هو ثانوي عن أصل التساؤل، وبذلك يخلو البحث من الحشو ويصفو ذهنه من الزيادات المملة.
6. دقة توثيق المعلومة عن الفكرة[28]؛ وهو أن يحفظ الباحث خلال تحريره حقوق وأفكار غيره، من خلال التوثيق والإشارة إلى كل ما هو دخيل على فكره أو لسانه حتى لا يكون منتهكا لفرض البحث ومقتضى المروءة العلمية.
7. حسن تقسيم وتوزيع المعلومات حسب تدرج خطوات المقال العلمي[29]؛ ومعناه أن يتحكم الكاتب في بناء معلوماته ومحفوظاته فلا يخلط ولا يزحزح بين الأفكار عشوائيّا، ويغتدي أمينا على المعلومة وأمينا في قولبة سياقها ومصدرا في الاستجواب عنها.
8. استخدام أصل اللفظ دون فرعه، وحقيقه دون مجازه، لأن الحقيقة مدار علم المعاني على عكس المجاز الذي هو مدار علم البيان[30]، وعليه يكون الباحث البلاغي المحرر لمقال علميٍ وفق مدار علم المعاني لا البيان رغم أن البلاغة في أصلها معان راقية عُرضت في قوالب بيانية معجزة.
9. التأكيد على دقة وجدّة المصطلحات وصوابها المعنوي والبنائي[31]؛ وهذا تماشيا وسياسة البحث العلمي القاضية بتحيين المعارف والآراء وضبط المصطلحات والأفكار.
10. عدم التحيُّز لفكرة معينة حفاظا على المصداقية العلمية التي تنصّ عليها الضوابط الأكاديمية في الأبحاث الجامعية[32]؛ وهذا لأن لا يوسم البحث بالذاتية وعدم الإنصاف العلمي في حق الموضوع المدروس.

4/ المراجع:

1. حليمة بوشاقور، مداخلة شفهية باليوم الدراسي حول القراءة ودورها في بناء الفكر الإنساني، جامعة قسنطينة2، 2002.
2. خالد حامد، منهجية البحث في العلوم الاجتماعية والإنسانية، دار جسور، الجزائر، الطبعة 01، 2008

3. صلاح الدين شروخ، منهجية البحث العلمي للجامعيين، دار العلوم، الجزائر، د.ط، 2003.
4. ضياء مجيد الموسوي، نظرية المعرفة مناهج وطرق البحث العلمي، دار هومة، الجزائر، د.ط، 2012.
5. عبد العزيز بو الشعير، مقالات في الدرس الإبستمولوجي مساءلات فلسفية في العالمين الصغرى والكبرى، دار الأمان، المغرب، الطبعة 01، 2016.
6. عز الدين الناجح، المطالعة مقاربات ومحاولات، مكتبة علاء الدّين، تونس، الطبعة 01، 2011.
7. غازي عناية، منهجية البحث العلمي عند المسلمين، دار البعث، الجزائر، الطبعة 01، 1985
8. غاستون ميالاري، طرق البحث في علوم التربية، تر: شفيق محسن، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت؛ لبنان، الطبعة 01.
9. منشورات الأكاديمية المهنية للمعلمين، برنامج تحسين مهارات القراءة والكتابة لتلاميذ صفوف المستويات العليا، دليل المدرب، مصر، د.ط، 2014.
10. موريس أنجرس، منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية، تر: بوزيد صحراوي وكمال بوشرف وسعيد سبعون، دار القصبة، الجزائر، د.ط، د.ت.

[1] الناقد البلاغي: وأقصد به ذاك القارئ المتأمل للنص البلاغي حينما يغوص أعماقه مستجليا بذلك كنهه.
[2] ضياء مجيد الموسوي، نظرية المعرفة مناهج وطرق البحث العلمي، دار هومة، الجزائر، د.ط، 2012، ص9.
[3] ينظر، نفسه، ص9
[4] غاستون ميالاري، طرق البحث في علوم التربية، تر: شفيق محسن، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت؛ لبنان، الطبعة 01، 2008، ص25.
[5] يُنظر، غازي عناية، منهجية البحث العلمي عند المسلمين، دار البعث، الجزائر، الطبعة 01، 1985، ص95.
[6] ينظر، https://pulpit.alwatanvoice.com/articles/2012/01/09/247923.html، 2018/01/20، 20:18.
[7] عز الدين الناجح، المطالعة مقاربات ومحاولات، مكتبة علاء الدّين، تونس، الطبعة 01، 2011، ص13.
[8] السابق، ص14.
[9] نفسه، ص16.
[10] حليمة بوشاقور، مداخلة شفهية باليوم الدراسي حول القراءة ودورها في بناء الفكر الإنساني، جامعة قسنطينة2، 2002.
[11] ينظر، غاستون ميالاري، طرق البحث في علوم التربية، تر: شفيق محسن، ص26.
[12] صلاح الدين شروخ، منهجية البحث العلمي للجامعيين، دار العلوم، الجزائر، د.ط، 2003، ص64.
[13] السابق، ص64.
[14] نفسه، ص64.
[15] نفسه، ص64.
[16] يُنظر، نفسه، ص64.
[17] يُنظر، نفسه، ص65.
[18] عبد العزيز بو الشعير، مقالات في الدرس الإبستمولوجي مساءلات فلسفية في العالمين الصغرى والكبرى، دار الأمان، المغرب، الطبعة 01، 2016، ص35.
[19] نفسه، ص36.
[20] يُنظر، نفسه، ص37.
[21] ضياء مجيد الموسوي، نظرية المعرفة مناهج وطرق البحث العلمي، ص9.
[22] خالد حامد، منهجية البحث في العلوم الاجتماعية والإنسانية، دار جسور، الجزائر، الطبعة 01، 2008، ص30
[23] ينظر، موريس أنجرس، منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية، تر: بوزيد صحراوي وكمال بوشرف وسعيد سبعون، دار القصبة، الجزائر، د.ط، د.ت، ص102.
[24] ينظر، غاستون ميالاري، طرق البحث في علوم التربية، تر: شفيق محسن، ص25.
[25] ينظر، نفسه، ص25.
[26] صلاح الدين شروخ، منهجية البحث العلمي للجامعيين، ص71.
[27] نفسه، ص71.
[28] يُنظر، نفسه، ص71.
[29] يُنظر، السابق، ص71.
[30] يُنظر، نفسه، ص73.
[31] ينظر، نفسه، ص74.
[32] ينظر، منشورات الأكاديمية المهنية للمعلمين، برنامج تحسين مهارات القراءة والكتابة لتلاميذ صفوف المستويات العليا، دليل المدرب، مصر، 2014، ص9.